

الأعراف (لزرغان) وتدبير العنف بين القبائل في مغرب ما قبل الاستعمار حالة قبائل أيت عطا

محمد لطيف

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر - أكادير

حميد تيتاو

الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس

تنطلق الأبحاث الأنثروبولوجية من اقتناع راسخ بوجود مجتمعين : أحدهما عنيف وميال للفوضى والحرب وسمي "بدائيا"، والثاني مدني متحضر هو المجتمع الأوربي. وكثير هم الباحثون الأجانب الذين تبناوا هذا التصنيف خاصة أواخر القرن التاسع عشر وطيلة العقود الأولى من القرن العشرين، تحكمهم في ذلك نزعة "دولتية" تجعل الدولة المؤسسة الوحيدة القادرة على إنتاج القانون والكفيلة بنشر النظام ومنع الفوضى، وتعتبر المجتمعات القبلية مغايرة للأولى، فوضوية تفتقر إلى النظام والقانون، وتختزل دور القوانين العرفية الردع والقمع. وهو التصور الذي استمد أسسه من تلك العلاقة الوثيقة التي جمعت بين نشأة هذا العلم، وانطلاق الحركة الاستعمارية الأوربية. في الردع والقمع¹. وهو التصور الذي استمد أسسه من تلك العلاقة الوثيقة التي جمعت بين نشأة هذا العلم، وانطلاق

¹ كانت هذه الملاحظة وراء الأبحاث التي دشنها الأنثروبولوجي الفرنسي بيار كلاستر في مجال الأنثروبولوجيا السياسية، وفيها يدين تلك النظرة الأوربية المتعالية. انظر، بيار كلاستر، "أثرية العنف أو الحرب في المجتمعات البدائية"، ترجمة علي حرب، مجلة الفكر العربي، العدد 33-34، السنة الخامسة، 1983م. وانظر التقديم الذي خصصه علي حرب لهذا المقال، علي حرب، "الهوية، الثقافة، السياسة، من منظور أنثروبولوجي، تقديم لأثرية العنف لكلاستر"، مجلة الفكر العربي، العدد نفسه، 76-100.

الحركة الاستعمارية الأوربية¹.

وعلى الرغم من أهمية الإضافات والمراجعات التي قدمتها الأنثروبولوجيا الأنجلوساكسونية، فقد استمر التصور الانتقاسي -خصوصا في هذا المجال- بدوره في إغفال دور القوانين العرفية في تنظيم المجتمعات القبلية وتقنين العنف داخلها، مركزا على عنصر الولاية والصلاح باعتباره الفاعل الوحيد القادر على حل النزاعات بين أفراد المجتمع القبلي وبين القبائل في إطار ما يعرف بدور الوساطة².

ننتقل إلى جانب هذا التصور، أيضا من تلك النظرة التحقيرية التي طالما حكمت نظرة بعض الفقهاء وعلماء الشرع نحو البدو والأعراف، نظرة تختصر القانون في الشرع وتعتبر الأعراف من البدع وتصف واضعيها بـ"الأبليس"³. وهو التصور الذي غلب عليه الفكر الديني المحافظ، ناهيك على النظرة الدونية التي ووجه بها البدو تاريخيا من قبيل التشكيك في إيمانهم، واعتبار البداوة خارجة عن نطاق الشريعة الإسلامية⁴.

¹ انظر: جيرار لكرك، الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة، جورج كتورة، معهد الإنماء العربي، كتاب الفكر العربي، بيروت، 1982م. المختار الهراس، القبيلة والسلطة، 25-37. فضة مصطفى، "حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري"، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 29، 1983م، 79. عبد الفتاح الزين، "السوسيولوجيا في المغرب، من إعلان الحماية الفرنسية إلى المرحلة الراهنة"، مجلة المستقبل العربي، السنة 13، العدد 146، أبريل 1991م، 12.

² رجال بويريك، زمن القبيلة، السلطة وتديبر العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقرق للطباعة النشر، الرباط، ط1، 2012، 350.

³ محمد بن أحمد الإكواراي، روضة الأفنان في وفيات الأعيان، تحقيق، حمدي أنوش، مراجعة، محمد الحاتمي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، الطبعة الأولى، 1998.

⁴ شفيق أرفاك، قيادة تمنارت بين التزام المحيط القبلي والسلطة المخزنية 1110-1352م/1706-1934م، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، 2007، 141/1. رجال بويريك، زمن القبيلة، 113-118.

إن ما أثاره العرف من نقاشات وتصورات يدل دلالة واضحة على محوريته في المجتمعات البدوية. ويمكن لأي باحث في واقع القبائل المغربية وتاريخها، أن يسجل ذلك الحضور المكثف للعرف باعتباره تلك "القواعد القانونية" التي من شأنها أن تحدد العلاقة بين أفراد القبيلة أو القبائل بما يضمن الأمن والاستقرار. ويندرج في هذا النطاق العرف في إطار ما سمي بالقوانين الطبيعية التي تخلقها الجماعة للضبط والتوجيه والزجر والعقاب أو التعويض¹، وغاية إقراره ضمان العيش المشترك وتديبر الخلافات وضمان التبادل بين أفراد الجماعة المعنية ومع الآخر. وعلى الرغم من حضور الجانب الزجري العقابي في مضمون العرف، إلا أنه من الصعب اختزاله في هذا الجانب دون غيره، لأنه يجسد وحدة القبيلة؛ فالعلاقات الدموية والقرايبية غير كافية لخلق جو ملائم للتعايش بين أفراد المجموعة، لذا تحتم وجود قانون شفوي أو مكتوب يمكن من ضبط علاقاتهم ويضع قواعد ترمي إلى حماية المجموعة من الفوضى والانحراف².

سينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على السؤال عن مدى حضور ظاهرة العنف بين القبائل في مجال الجنوب الشرقي المغربي؟ وعن قدرة العرف على ضمان العيش المشترك داخل فسيفساء إثنوغرافي تجاذبته الصراعات على الموارد والخيرات؟ وعن إمكانية الحديث عن دور ما للعرف في إرساء بعض مظاهر التبادل بين تلك القبائل؟ سنحاول ملامسة بعض من جوانبها متخذين من قبائل أيت عطا خلال فترة ما قبل الاستعمار مثالا للتحليل والمقاربة، دون أن نغفل استحضار القبائل التي تقاسمت مع أيت عطا المجال نفسه، خاصة أن الأمر يتعلق بتديبر ظاهرة العنف بين القبائل.

¹ عمر بن عبد الكريم الجيدي، العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب، مطبعة فضالة، 1984، 171.

² رجال بوبريك، زمن القبيلة، 70.

أولا- قبائل الجنوب الشرقي: إكراهات المجال والصراع على الموارد

1- وجود من أجل الحرب

يعتبر العنف والصراع من بين الظواهر الاجتماعية البارزة التي طبعت مراحل طويلة من تاريخ القبائل المغربية في الجنوب الشرقي بشكل عام، وقبائل أيت عطا بشكل خاص. فالمطلع على الإشارات القليلة التي تجود بها كتب الأخبار عن هذه القبائل، لن يجد كبير عناء في الوقوف على الحضور المكثف للعنف في الحياة اليومية لهذه القبائل. فكثيرا ما قدم بعض مؤلفي المصنفات التاريخية قبائل أيت عطا على أنها قبائل مولعة بالعنف والقتل، وميالة إلى الحرب والصراع. من ذلك وصفها بـ"الفتننة" و"الظلم"¹، و"قطع الطرق"²، ونعت رجالها بـ"الأشرار، الفجار، الجهالة، الأغمار"³. كما اعتبروا تحركاتها من صنف البغي والمروق والخروج عن أولي الأمر، فلم يترددوا في وسمها بصفات "الحرابة" و"التطاول" والذب في الأرض فسادا⁴. ولعلها صفات ظلت مقرونة بقبائل أيت عطا حتى مراحل متأخرة قبل فرض الحماية؛ وهو ما يبدو واضحا في ما ذكره محمد المختار السوسي في معرض حديثه عن النزاعات بين القبائل والفتن والحروب التي ابتلت

¹ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، الجزء الأول، دراسة وتحقيق، المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013، 104، 111.

² رسائل ابي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة خليل القبلي، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981، 211/1.

³ الناصري محمد بن المهدي بن العباس، نعت الغطريس، الفسيس، هيان بن بيان، المنتهي إلى سوس، تحقيق خالد ناصر الدين، منشورات دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2016، 33.

⁴ أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2007، 233/3 المهدي الناصري، الرحلة الزاهرة في أخبار درعة العامرة، دراسة وتحقيق، أحمد البوزيدي، منشورات أمل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1999، 69. محمد المختار السوسي، المعسول، 270/16 طبع بمطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1380هـ/1961م، 270.

بها مجالات الجنوب الشرقي في بدايات القرن العشرين وأواخر العقد الثاني منه. ومن الأوصاف التي خص بها فروع قبائل أيت عطا أنها في حروب لا تنقطع وعداء مستمر¹.

ويبدو أن التحولات التي ميزت العلاقة بين قبائل الجنوب الشرقي منذ القرن السابع عشر، خاصة ما تعلق منها بانفصال قبائل أيت مرغاد عن التحالف القبلي العطاوي، وبلورتها مع مجموعة أخرى من القبائل حلفا جديدا منافسا عُرف بتحالف أيت يافلمان²، قد أسهم بشكل أو بآخر في استشراف الصراع بين هذه القبائل؛ فالروايات تشير إلى أن مجالات الجنوب الشرقي خلال تلك المرحلة، كانت تعيش في صراعات متواصلة بين التحالفين، لا تحمد واحدة إلا لتشتعل أخرى، وهو ما عكسه أحد المؤلفات النوازلية التي صنفت في هذه المرحلة³.

هذه هي الصورة التي ظهرت بها قبائل أيت عطا في العديد من أصناف المصادر المغربية التقليدية، وهي في مجملها صورة لا تختلف عن تلك التي ميزت الرؤية الأنثروبولوجية الأوربية التقليدية، والتقارير التي أنجزها رحالة ومستكشفون وإثنوغرافيون وباحثون وضباط استعلامات أجنب تجاه هذا النوع من القبائل. ففي ثنايا أوصاف الرحالة والمستكشف الفرنسي شارل دو فوكو لمعمار مجالات الجنوب الشرقي حديث عن استشراف الطابع الدفاعي وحضور الهاجس الأمني في هذا المعمار مبررا ذلك

¹ المعسول، 305/16.

² Mezzine Larbi, Le Tafilalte contribution à l'Histoire du Maroc aux XVII^e et XVIII^e siècles, Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat, Série Thèses 13, Université Mohammed V, Rabat, 1987, p 291. Ahmed Skounti, Le sang et le sol : nomadisme et sédentarisation au Maroc : les Ayt Merghad du Haut-Atlas oriental, Rabat, IRCAM, 2012, p37.

³ إبراهيم بن عبد الرحمان الكلالي، المسألة الشهيبة الإمليسية على عوائد البلاد الغريسية، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، رقم 2577 د، (ضمن مجموع)، 134-195.

يكون القبائل في حروب وصراعات دائمة¹. الانطباع ذاته سجله دو سيغونزك (De Segonzac) عشرين سنة بعد ذلك، إذ يذكر أن عبوره لمجال الجنوب الشرقي خاصة المجال الحيوي لأيت عطا كان صعبا، فالقبائل كانت تعيش على الغارة وقطع الطرق، والحرب بينها من الأمور المألوفة والسريعة النشوب². ويظهر أنها ظاهرة استمرت عند مختلف القبائل حتى الربع الأول من القرن العشرين على الأقل، ومن القرائن التي تثبت ذلك، ما أورده جورج سبيلمان عن قتل أولاد يحيى في أبريل 1927م أربعين شخصا من دراوة، وما ذكره عن ما قام به أيت أونير سنة بعد ذلك في تصفية الدراويين بتاغزوت درعة، مشيرا إلى أنهم لم يميزوا في القتل بين الأطفال والنساء والشيوخ³.

إن هذه الشهادات وغيرها، تقدم قبائل الجنوب الشرقي عامة، وقبائل أيت عطا على وجه التخصيص، على أنها قبائل محاربة تعيش على السلب والنهب. وسواء تعلق الأمر بالمصادر المغربية التقليدية أو بالتقارير الأجنبية، فإن قبائل الجنوب الشرقي كانت تعيش في حروب وفوضى لا تنتهي. والواضح أن أصحاب هذه الشهادات لم ينشغلوا بمحاولة فهم استسراء العنف والحرب بين هذه القبائل، كما لم يتعقبوها من أجل استكناه أسبابها العميقة، فاكتمت البعض منهم بإيعازها إلى استحكام السخائم العصبية والعرقية، بينما عدتها بعض الأقلام المشدودة إلى أجهزة الحماية أدلة مقنعة لتأكيد طابع الفوضى والبداءة الذي

¹ وصف شارل دو فوكو مدخل واحة دادس التي مر بها يوم 22 أبريل 1883م، قائلا: "ليست القصور وحدها المنتشرة بواد دادس، بل تظهر كذلك بنايات عجيبة، لاحظت أمثالها عند أيت سدرات بدرعة، وهي إكدمان، المستعملة بشكل خاص بواحات دادس وتودغي وأفركة وكذا بعض مناطق درعة، حيث لم يسبق لي أن رأيتها إلا في هذه الأماكن، كما أنها تنتشر كثيرا في دادس وتودغي أكثر من فركة ودركة". جورج شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بلعربي، إشراف الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1999م، 288.

² Marquis De Segonzac, Au cœur de l'Atlas mission au Maroc 1904-1905, Paris, Emile Larose, Librairie éditeur, 1910, p.110.

³ جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهدة" درعة العليا، ترجمة، محمد احدي، الطبعة الثانية، 2011م، 140.

وسم تاريخ المغرب، والذي يجد تظاهراته في ذلك الصراع المستمر والمستमित بين القبائل.

يستلزم تفسير الواقع القبلي بالجنوب الشرقي المغربي، وفهم أسباب استشراف الصراع والعنف فيه تبني مقاربة علمية تتأسس على الرصد الأمين لعواملها الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية. والأكد أن التفصيل فيها يحتاج إلى دراسة خاصة. مهما كان الأمر، نرى من الواجب أن نقدم بعضا من المعالم الكبرى للمحددات المتحركة في الحرب القبلية لدى قبائل الجنوب الشرقي المغربي، متخذين دائما من قبائل أيت عطا مثلا لذلك.

2- تدافع قبلي وصراع على الموارد

تعد الأرض مسؤولة في قسم كبير على تحديد المستوى المادي والاجتماعي للأفراد والقبائل؛ فهي المحور الرئيس الذي انتظمت عليه العلاقات الاجتماعية، وهي وسيلة الإنتاج الهامة لبعض القبائل، كما مثلت المجال الحيوي الذي يوفر للبعض الآخر ما يتطلبه تنقلها وترحالها. الواقع أن القبائل في الجنوب الشرقي، بما فيها قبائل أيت عطا، ظلت في تبعية شبه تامة للوسط الطبيعي والتقلبات المناخية؛ ولا شك أن انتماء واحات درعة وتافيلالت في مجملها إلى بيئة صحراوية يتميز مناخها بعدم الثبات، وتتعرض مواردها المائية للجفاف والنضوب في كثير من الأحيان، أبقى الإنتاج في مستويات هزيلة لا تكفي حتى لسد الرمق، ودفع بالعديد من فروع قبائل أيت عطا إلى النجعة والتنقل المستمر بحثا عن الماء والمرعى. وهو أمر كثيرا ما نجمت عنه صراعات واصطدامات مع قبائل رعوية أخرى في تلك المجالات القاحلة.

كان من البديهي أن ترشح على السطح ظواهر اجتماعية بمثابة ردود فعل طبيعية تحضر دائما لحاجة القبائل إليها لتأكيد وجودها المادي في ظل ندرة الموارد وعدم تكافؤ توزيعها¹. ولا

¹ حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، نشر مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، سلسلة أبحاث 1، ديسمبر 2009م، 106-107.

نعدم من القرائن ما يثبت هذا القول ؛ فالقبائل المستوطنة لمجالات دادس ودرعة، والتي تشترك في الموارد المائية والمراعي، كما يشير دو فوكو، في حالة ثابتة من العداوة¹.

حتمت أوضاع العوز والفقير السائدة في المجال المدروس، على أفراد القبيلة في إطار التنافس على الموارد، السعي إلى الحفاظ على أعلى درجات التضامن فيما بينهم من أجل تحقيق ما سماه ابن خلدون في فترة سابقة، بـ"الحماية والمدافعة والمطالبة، وكل ما يجتمع عليه"². ثم إن أواصر هذا التضامن امتدت من التعاون في الإنتاج، حيث تم تكريس الأعراف المنظمة للأعمال الجماعية وتعاون الأفراد الإلزامي في حرث الأرض أو جمع المحصول أو إحداث التجهيزات الخاصة لاستغلال الماء من مثل بناء السدود "أكوين"، وجر السواقي "تيركين"، والخطارات، وغيرها³، إلى التضامن العصبي لدرء أي خطر خارجي قادم، لا يعدو أن يكون قبيلة دفعتها الشروط نفسها أو أقسى منها إلى توجيه أنظارها إلى ما يملكه غيرها، مما يفضي إلى الحرب أو الصراع من أجل البقاء⁴.

سجل ليون الإفريقي في هذا الصدد أصداء الاصطدامات العنيفة التي عرفتها منطقة درعة قائلا: "يأتي إليها الأعراب المجاورون لرعي إبلهم، لكنهم غالبا ما يتحاربون من أجل هذه المراعي ويقتتلون"⁵.

تأسيسا على ذلك، فتحركات القبائل العطاوية إذن لا يمكن فهمها دون وضعها في

¹ شارل دو فوكو، التعرف على المغرب، 288.

² ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م، 112.

³ محمد احدي، أعراف الجنوب المغربي نموذج عرف أيت عطا الرتب بوادي زيز، منشورات مختبر الأبحاث في المجتمعات الصحراوية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، أكادير، الطبعة الثانية، 2012، 20.

⁴ حميد تيتاو، الحرب والمجتمع، 108.

⁵ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م، 354/1.

سياقها التاريخي، وفي إطار الصراع والتنافس على الموارد في المجالات القفزة؛ فهي ردة فعل منطقية اتجاه القبائل العربية المعقلية والهلالية التي اكتسحت الجنوب الشرقي المغربي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وحاصرت قبائله في مجالات ضيقة¹. فقد نزلت هذه القبائل العربية في "ما يلي ملوية ورمال تافيلالت، وجاوروا زناتة في القفار والغربية، فعفوا وكثروا وأبنتوا في صحارى المغرب الأقصى، فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه"²، ينتجعون القفر، ويكثرون الغزو، ويقطعون الطرق على قصور الصحراء³.

وتتأكد البواعث نفسها في المراحل اللاحقة من تاريخ المنطقة؛ إذ يذكر "دو لاشابيل" (De Lachapelle) أن الحروب المستمرة بين أيت عطا وأيت يافلان تجد تفسيرها في اصطدام إرادتين؛ إرادة توسعية جامحة في السيطرة على المجالات الحصبة التي جسدها أيت عطا، وإرادة متشبثة بمكتسباتها ومجالها الحيوي مثلته الكتلة الأخرى. أنتج هذا الوضع مناطق حدودية اتصلت فيها حروب الطرفين على غرار تودغى وفركلة، وأمغى، وغريس⁴.

ويذهب "دافيد هارت" (David Hart) إلى جعل مجالات دادس المتميزة بوفرة المياه والأرض الحصبة، النموذج الأمثل لتبين الخلفيات الحقيقية للعلاقات المتوترة بين الاتحاديتين خلال القرن الثامن عشر؛ فقد كان العطاويون يرغبون، في إطار النزوع

¹ جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهدة" درعة العليا، 59.

² ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، طبعة 1431هـ/2000م، 77/6.

³ أحمد أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-786هـ/1130-1472م)، دار النشر المغربية، البار البيضاء، توزيع المكتبة الثقافية، وجدة، الطبعة الأولى، 1982م 226.

⁴ De Lachapelle C.F., Notes sur la confédération des Ait Atta : les Ait Ounir, Annexes, 1928, p.3.

نحو الخصب من الأرض والاستئثار بها، في اقتحام مجالات آيت مرغاد وآيت حديدو للوصول إلى أسيف ملولن ثم البحيرتين (إيسلي وتيسليت) والتدخل في إميلشيل¹. غير أن هذه الرغبة أدت إلى تأجيج الحرب القبلية، عندما اصطدمت باستماتة قوية من قبل حلف آيت يافلما².

لم تكن حروب آيت عطا ضد آيت يافلما دائما حروب عوز أو انتزاع الأراضي بل كانت في بعض الأحيان وسيلة لغايات سياسية، تتمثل في تأكيد حضورهم في المجال، وذلك من خلال السعي إلى رسم الحدود بين "الاتحاديتين"، مثلما لا تخرج عن كونها امتدادا لعداء تاريخي يطفو بين الحين والآخر³. كما كانت أحيانا بمثابة حروب انتقامية؛ فأيت خباش هاجموا عددا من قصور عرب الصباح أشهرها قصر أولاد الزهراء وقصر مزكيدة، لتحالفها مع آيت مرغاد، وكانت النتيجة حروب دموية استدعت تدخل الخليفة السلطاني بتافيلالت المولى الرشيد، كلت جهوده بتوقيع وثيقة الصلح في ربيع الأول 1279هـ⁴.

واعتبارا لضعف نفوذ السلطة المركزية في هذه المجالات، وميل كثير من قبائل الجنوب الشرقي، وفي مقدمتها قبائل آيت عطا، إلى التبعية الروحية دون الاقتصادية للمخزن تفاديا لإتاواته وضرائبها، فقد كانت الحروب الناشبة بين هذه القبائل في بعض

¹ Mezzine L, Le Tafilalte, p.279.

² David M. Hart, Les institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou, traduit de l'anglais par C. G. Dimechkie, Recherches récentes sur le Maroc moderne actes tenu du 13 au 15 juillet 1977 à Durham. Casablanca: Publications du Bulletin économique et social du Maroc, 1978. pp.57, 67.

³ محمد بوكوط، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880-1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نون، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2005، 172.

⁴ عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر، منشورات المعهد الملكي لثقافة الأمازيغية، الرباط، الطبعة الأولى، 2011م، 178.

الأحيان خير تعبير عن هذا الاستقلال وإثباتا له، وربما أفضى حدث بسيط إلى اندلاع الحرب بينها سعيا منها لإثبات قوتها واستقلاليتها. وبذلك لا غرابة إن حدثتنا الروايات عن حروب ونزاعات بين أيت عطا وأيت يافلما كان الثأر أو ذريعة من الذرائع وراء اندلاعها. تذكر الشهادات أن خلافا بين تاجر عطاوي وآخر مرغادي في سوق أبوعام بتافيلالت، سرعان ما تضخم ليتخذ أبعادا خطيرة، حيث أدى إلى نشوب اقتتال مشهور بين الجانبين اهتزت له المنطقة من الأطلس الكبير إلى ضواحي توات، بل وتدخل الوزير الصدر الأعظم أحمد بن موسى -باحمد- لإيقاف الاقتتال سنة 1896م، بعدما أرسل مبعوثا مخزينا (العربي المنيعي) معززا بدعم الكلاوي، وتمكن من وضع حد لهذه الحرب وجمع رهائن عطاوية ومرغادية لتأكيد حسن النية والرغبة في السلم بين الطرفين¹. وفي السياق نفسه، تورد رواية متداولة عند قبائل أيت مرغاد أن رجلا من أيت عطا انتزع بالقوة قطعة جلدية من امرأة مرغادية كانت بصدد غسلها، فاشتكى زوجها إلى شيوخ القبيلة. ولكونهم على دراية ببأس العطاويين، وأمام قلة عدد محاربيهم، قرروا الاستنجد بكل من قبائل أيت حديدو، وأيت إزدك، وأيت إحيا.

كان تأسيس "اتحادية" أيت يافلما بمثابة سعي حثيث من قبل القبائل المشكلة لها لإحداث نوع من التوازن في الجنوب الشرقي، وبغرض إيقاف توسعات أيت عطا التي شهبها شارل أندري جوليان بالتوسعات الجرمانية التي شملت جميع أنحاء أوربا². وقد تأتى لها ذلك في معركة تيلوين في ربيع 1883م التي عمقت الصراع بين الحلفين، وأسفرت عن نزيه بشري في صفوف أيت عطا³. وهي المعركة التي أزاحت الهيبة عن العطاويين في

¹ عبد الله استيتو، المرجع نفسه، 181.

² محمد احدي، دراسات في تاريخ المغرب العميق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، الطبعة الأولى، 2012، 83.

³ جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهديئة" درعة العليا، ص. 61. عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي، 178.

مجالات غريس وأفركلة، وقوت في المقابل من نفوذ أيت يافلمان بشهادة شارل دوفوكو الذي زار المنطقة سنة بعدها¹.

وإذا كانت معظم النزاعات المشار إلى بعضها قد تمت في إطار المصلحة المشتركة والتحالف القبلي العطاوي المعبر عنه بروابط العصية التي يُستحضر فيها الجد "دادا عطا" بصفته المرجعية والرمزية لتحقيق الوصلة والتلاحم، فثمة صراعات ونزاعات أخرى حدثت بين الوحدات الداخلية للتحالف القبلي العطاوي لم يستحضر فيها الجد الأعلى للتحالف القبلي، والراجح أنها وقعت خلال الفترات التي غاب فيها التهديد الخارجي لمصالح وموارد الاتحادية.

ولعل المتمعن في الميكانيزمات الخفية لعلاقات التصادم والمجابهة بين الجماعات القبلية المكونة للحلف العطاوي، لن يجد كبير عناء في الكشف عن خلفياتها الاقتصادية. فقد أشار سبيلمان أن الوحدات الداخلية لأخماس أيت عطا كثيرا ما دخلت في حروب مريرة بسبب تضارب المصالح، وساق مثلا على ذلك ما حصل بين مكونات خمس أيت واحليم وتحديد أيت بويكينفن، وأيت عيسى أوبراهيم، وقبائل إيلمشان، وإيكنيون وأيت حسو². كما سجل تلك العداوة القائمة بين أيت واحليم، وأيت إيسفول، وأيت أونير، وأيت يعزى، وهي عداوة لا تخمد إلا الحرب ضد عدو خارجي، لكن هذه الحرب لا تلبث أن تعود لرغبة كل فرع في الاستئثار بعائدات الغزوات المحققة جماعيا³. وفي موضع آخر، أكد أن قبائل أيت إيعزى، وأيت إيسفول، ظلت تنتهك مجالات أيت واحليم عنوة، كما اتخذتها قبلة للسطو في فترات الضيق⁴.

¹ جورج شارل دو فوكو، التعرف على المغرب، 288.

² جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهدة" درة العليا، 109.

³ نفسه، 60-61.

⁴ نفسه، 72.

وفي الاتجاه ذاته، عزى المختصون¹، سبب النزاعات المستمرة والحروب الدائمة بين أيت إيسفول وأيت علوان وجيرانهم أيت خباش في المعيدر ودرعة، إلى التنافس على مراعي الكرب الغربي لكممكم والأمر نفسه ينسحب على المناوشات المستمرة حتى خلال فترة الحماية الفرنسية بين إيلمشان، وأيت يحيى أموسى حول المراعي الصيفية المشتركة "إيكدالان"².

ومن الوقائع المعبرة في هذا السياق، ذلك الصراع العنيف بين فخذات أيت عطا سنة 1930م في منطقة كئاوة ؛ صراع انطلقت شرارته الأولى بين أيت حسو وأيت إيسفول، ولكنه ما لبث أن اتسع بعد انضمام متحالفين جدد حتى من غير العنصر العطاوي. ولم تحسم وقائع هذه الحرب، التي تحدث محمد المختار السوسي عن نتائجها الكارثية، إلا بعد انضمام أيت خباش إلى الطرف الأول³. إنها حادثة تؤكد إحدى أهم استنتاجات القبطان جوستينيير⁴، حين أشار إلى أن مؤسسة الأحلاف لا تتبلور إلا من أجل الحرب فقط، وكانت هذه الأحلاف السبب في تضخيم مخاطر الحرب، وذلك بدفع كل البلاد إلى الاحتراق بمجرد اندلاع نزاع خاص، وهذا ينطبق على البلدان التي تعتبر الحرب فيها أمرا عاديا.

دفعت ظروف المعاش لدى قبائل الجنوب الشرقي عموما، وقبائل أيت عطا تخصيصا، القائمة على الكفاف في بيئة قاسية، وفي ظل أزمات متلاحقة، وتدافع قبلي

¹ محمد بوكبوت، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار، 38.

² Pacification et pénétration : Sagho, Oussikiss, M'semrir Ktaoua et M'hammid (Draa) Todgha : Opération Zagora et Anti-Atlas - Rapports de tournées, Etude du pays de transhumance. Centre d'Archives Diplomatique Nantes, Carton cote : 13MA/900/957.

³ المعسول، 305/16.

⁴ Justinard Lt. colonel, Notes sur l'histoire du Sahara au XVI^{ème} siècle, Archives Marocaines, vol. XXIX, Paris, 1933, p.66.

مستمر، دفعت بها إلى البحث عن طرق أخرى للكسب، ومنها مد اليد إلى ما بأيدي الناس. وهو أسلوب أضفى على العلاقة مع قبائل الجوار حالة ثابتة من العداوة عبرت عن نفسها من خلال الحروب والصراعات القبلية المستشرية في هذه المجالات، والتي لا يمكن عزل حدثها عن وضع السلطة المركزية من حيث القوة والضعف.

والنتيجة الأخرى لهذه الوضعية، أن عجز قبائل عن الصمود في حالة الحرب أدى إلى استهلاكها وفنائها، أو إجبارها على تغيير مواطنها؛ مثال ذلك، قبائل تواركة التي أرغمها أيت عطا على الجلاء من أراضيها بأمنى وتحديدًا ببلدة أورتوروك، وكذلك فروع من أيت ولال وأيت إيزدك التي انتقلت تحت ضغط تنازع البقاء في مجالات درعة وزيز إلى سهول سايس. كما أعاد سبيلمان أصول قبائل كروان وبنى حسين وزمور المستقرة حاليًا في منطقة مكناس والغرب إلى مجالات صاغرو¹.

ثانيا- أعراف أيت عطا وتديبر العنف القبلي

ليس ثمة أي جديد في التأكيد على الأهمية القصوى التي كانت للأعراف داخل المجتمعات القبلية، وهي أهمية لا تستمد قيمتها من دورها في تنظيم الحياة اليومية والعلاقات العامة داخل الجسم القبلي فقط، بل من خلال قدرتها على التكيف مع المتغيرات التاريخية التي عرفتها القبيلة على امتداد تاريخ المغرب، وكذا من حيث هي وعاء تنظيمي استطاع أن يساير التحولات الكبرى التي شهدتها هذه القبائل. فالأحداث التي أفرزتها الاضطرابات العامة التي ميزت بعض المراحل من تاريخ القبيلة بالمغرب، بما فيها تفشي ظواهر العنف والحرب، أفضت إلى تكريس أعراف وتوليد أخرى تتجاوب والمتغيرات الجديدة، كما دفعت بـ"إمزورفا" أو واضعي الأعراف إلى اعتماد الاختيارات والترجيحات بخصوص تديبر الخلافات في مراجعة النصوص العرفية.

¹ جورج سبيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهدئة" درعة العليا، 53.

1- إزرف وتعقيدين الجنوب الشرقي، على سبيل التعريف

يطلق العرف عادة في اللغة على الشيء المستحسن المؤلف¹، وفي الاصطلاح الفقهي على "ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول... شرط ألا يخالف نصاً شرعياً"²، أما في معناه القانوني، خاصة عند فقهاء الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا، فهو مجموعة من القواعد المستمدة من العادات اليومية المألوفة لدى الناس في بيئة اجتماعية معينة، وتتكون بشكل تلقائي ثم تتحول إلى نوع من الإلزام الأخلاقي والقانوني دون أن تستند إلى سلطة شرعية³.

فالعرف إذن هو ما ألفه الناس في معاملاتهم واستقامت عليه أمورهم، ويندرج في إطار ما سمي بالقوانين الطبيعية التي تخلقها الجماعة للضبط والتوجيه والزرع والعقاب أو التعويض...⁴، وقد أسهمت قيوده وضوابطه في تنظيم المجتمعات لأنها فرضت على الأفراد والجماعات إتباعها، ولعله بذلك أقرب للقوانين منه للتقاليد⁵، أو هو إنتاج اجتماعي يعبر عن ثقافة قانونية مطابقة لمستوى تطور المجتمع الذي أنتجه.

ينسحب هذا التعريف جملة وتفصيلاً على العرف في المجتمع القبلي المغربي الذي

¹ محمد ياسر الهلالي، "لمحة عن العقوبات العرفية للصوعية في المجال القروي المغربي خلال العصر الوسيط وبداية العصر الحديث"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية، مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، 2004، 156.

² عمر بن عبد الكريم الجيدي، العرف والعمل، 29-31-34.

³ انظر للتفصيل، عبد الخالق احمدون، "القوانين العرفية بالمغرب (قانون ماسة إداوط نموذجاً)"، مجلة كلية الآداب، تطوان، العدد 8، 1997، 7. احمد إد الفقيه، "القانون المغربي بين ثلوث العرف والشرع والتشريع"، مجلة المرافعة، العدد 1، 1992، 61. حليلة بنكري، "تحديد بعض المفاهيم المتصلة بالعرف"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية، 6.

⁴ عمر بن عبد الكريم الجيدي، العرف والعمل، 171.

⁵ فاطمة مسدالي، "الثابت والمتغير في أعراف الأسرة البدوية"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية، 96.

ابتكر منذ قرون خلت قوانين منظمة وضوابط وأحكاما لتدبير حياته اليومية، وضبط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخلها، فكان العرف، وإزرف، والقاعدة، والشرط، واللوح، وغيرها من الاصطلاحات¹. لكننا نجعل تاريخ هذه البداية، ويصعب علميا التأكد منها نظرا لندرة الرصيد الوثائقي المكتوب في الفترات القديمة، بيد أن ذلك لا يمنع من القول مع من سبقنا من الدارسين، أن العرف سابق للفترة الإسلامية بحكم ارتباطه بالنظام القبلي السائد².

ويتخذ العرف في مناطق الجنوب الشرقي للمغرب وفي بعض مناطق الأطلس الكبير والصغير وسوس، إسم "إزرف"، إلا أن قبائل أيت عطا وقبائل الجنوب الشرقي عموما، تستعمل هذا المصطلح أكثر دون غيره إذا قارناها مثلا مع قبائل سوس والجنوب عموماً حيث تُداول تسميات أخرى من مثل الألواح، والديوان، والعرف، إلى جانب إزرف³. وتستعمل قبائل أيت عطا إلى جانب إزرف، مصطلح "تعقيدين" للتعبير عن الوثائق التي تضم قواعد إزرف المنظم للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين أفراد القبيلة الواحدة، وبينها وبين باقي القبائل المشكلة للحلف القبلي العطاوي⁴.

ويميل بعض الدارسين إلى التأكيد أن كلمة إزرف جاءت من أصل ص. ر. ف، والذي يأخذ عند قبائل الجنوب الشرقي في القديم مدلول النقد والتقود أو الغرامة، مدعماً رأيه هذا بارتباط هذا الاسم بمؤسسة سك العملة التي ظهرت في حواضر ما قبل الصحراء مثل تودغني وزيز⁵. إلا أن هذه الفرضية تظل بعيدة عن اليقين ما لم تؤكدتها

¹ علي صدقي أزيكو، "فتاوي بعض علماء الجنوب بخصوص نظام إنفلاس بالأطلس الكبير الغربي في أوائل القرن 17"، ضمن كتاب "التاريخ وأدب النوازل"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995، 178.

² محمد حنداين، "العرف والمجتمع السوسي"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية، صص 9-10.

³ المرجع نفسه، 10.

⁴ Mezzine L., Le Tafilalet, p.198.

⁵ Emile Laoust, Mots et choses berbères, p.417.

الدراسات الأركيولوجية والأبحاث المتخصصة في هذا الميدان. أما Surdon، فيؤكد المعنى الأولي المتداول لدى هذه القبائل لمعنى إزرغ وهو: أبريد، أغراس، أي الطريق المستقيم¹، ومما يزيكي هذا التفسير، قول أيت عطا "أندوس أبريد أو أندوس إزرغ" بمعنى، "لنسلك الطريق القويم، لنذهب أمام العدالة"².

ويشتق من إزرغ مصطلحات عدة منها بالأساس، أيت إزرغ أو إمزورفا، ومعناها في المتداول الشفهي والمكتوب عند قبائل أيت عطا، أهل العرف أو العارفون بنوده، والذين يختارون عادة للفصل في الخصومات المعروضة أمام "المحاكم" العرفية لهذه القبائل.

فإزرغ عند قبائل أيت عطا، هو مجموع الأحكام والأعراف والضوابط الأخلاقية والقانونية التي سنتها "لجماعت ن أيت عطا"، لتديبر شتى شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهو أيضا السلطة التي تقضي بتطبيقه والالتزام به. ويكتسي صبغة "القداسة"، لأن منبعه من الأجداد، مما يجتم الخضوع له. وكل معارض له يتعرض للنبذ وتلفظه الجماعة عنها، فعقابه في الغالب أقوى من القانون، إذ يعاقب عقابا مباشراً بالاحتقار والوصم بالعار في مجتمع يثمن النبل والشرف قبل المال والمادة³.

وينبثق عن إزرغ أيت عطا مصطلح آخر هو "تعقيدين" جمع "تعقيت"، وقد استعمل للدلالة على الأعراف المدونة والوثائق التي دُون فيها إزرغ وشتى بنوده المنظمة، سواء ما تعلق بتنظيم العلاقات بين أفراد الوحدة القبلية الواحدة، قصراً كانت أو فرعاً من فروع القبيلة أو العظم، وكذلك ما ارتبط بتنظيم العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، في أعلى مستويات الاتحاد⁴.

¹ Georges Surdon, Esquisses de droit coutumier berbère marocain, Editeur Félix Moncho, 1928, pp.41-42.

² انظر عبد الرحمن بلوش، "قراءة في إزرغ الأمازيغي"، ضمن الدورة الرابعة للجامعة الصيفية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، 224.

³ انظر حميد تيناو، محمد لطيف، ملامح من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، 67-76.

⁴ Mezzine (L), Le Tafilalet, pp.26-27.

يرجع أصل أول تدوين- حسب الرواية الشفوية- لهذه الأعراف و بروز ما يسمى بتعقيدين إلى المرحلة التي تأسس فيها "إغرم أمزدار" بصاغرو لحزن المحاصيل الزراعية أثناء فترات الانتجاع¹ وحمايتها ؛ ذلك أن قبيلتي أيت اسفول وأيت واحليم اللتين شكلتا نواة هذا الاتحاد القبلي اضطرتا بعد بناء إغرم أمزدار إلى وضع قواعد قانونية وسلوكية لتدبير حراسته، وتنظيم العلاقات بين العائلات التي استقرت فيه من كلا القبيلتين. وإذا اعتبرنا أن ميلاد الحلف العطاوي بأخماسه الخمسة لم يتم إلا في القرن 16م، أدركنا أن تأسيس "تعقيدين" يعود على الأقل إلى فترة أواخر القرن 14 وبداية 15م، والتي توافقت مرحلة تأسيس المخازن الجماعية في كثير من مناطق المغرب خاصة في الأطلس الكبير الغربي، حيث برزت الألواح أو قانون المخازن الجماعية (أكادير)². فهل كانت تعقدين أيت عطا نموذجاً آخر للقانون العرفي المسطر والمدون، كما هو الحال بالنسبة لألواح سوس والأطلس الكبير الغربي ؟

لا نملك الأدلة الكافية إلى حدود هذه اللحظة على الأقل، ما يثبت أن تعقيدين في أول أمرها كانت مكتوبة على غرار ألواح جزولة³، فما نملكه الآن من "تعقيدين" مدونة يعود تاريخها فقط إلى القرن 19م بدايات القرن 20م. وإذا اعتبرنا أن فترة القرنين 14 و15م، كما اعتبرها بعض الباحثين، مرحلة تأسيس الألواح و بروز العرف المكتوب في الأطلس الكبير الغربي وسوس، وإذا استحضرننا الروايات الشفوية الكثيرة التي تؤكد وجود وثيقة مكتوبة على جلد جمل، ويملكها أحد أعقاب مولاي عبد الله بن حساين

¹ حميد تيتاو، محمد لطيف، ملامح من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، 19-20.

² محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1976، 1/298.

³ محمد العثماني، "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"، 69-71. أحمد أرحموش، "العرف والقانون من روافد الثقافة الأمازيغية (نموذج ألواح جزولة)"، ضمن أعمال ندوة الثقافة الأمازيغية بين التقليد والحداثة، جمعية الجامعة الصيفية، أكادير، 1996، 232.

الذين يستوطنون بصاغرو، والذين يعرف عنهم أنهم حفظة الراية التي ترمز إلى شعار أيت عطا في حروبهم، وإذا حاولنا أن نجد تفسيراً لمدلول "تيعقيدين" الذي لا نستبعد أن يكون ذا صلة بكلمة العقد والعقود، إذا أخذنا بكل هذه الاعتبارات يمكن القول إن "تيعقيدين" عبارة عن وثائق مكتوبة لإزرغف أيت عطا، وأن هذه القبائل يمكن أن تكون قد تأثرت بظاهرة تدوين الأعراف في عموم الجنوب المغربي، وخاصة بظاهرة الألواح. كما أن التقارب بين مفهوم "تيعقيدين" و"العقد"، قد يفيد أن الشرفاء الحنصاليين وحفدة مولاي عبد الله بن حساين قد يكونون من أسهم في تدوين هذه الأعراف، فوسموها بالعقود.

فما نملكه من روايات يثبت أن أول عهد أيت عطا بتعقيدين يعود إلى اللحظة التي تحالفت فيها قبيلتنا أيت إسفول، وأيت واحليم، وقررتا تأسيس إغرم أمزدار بصاغرو، أي قبل التشكل النهائي للكونفدرالية الكبرى بقرن تقريبا. ومع انضمام القبائل الأخرى إلى هذا التحالف عملت كل قبيلة على حدة على تأسيس تيعقيدين خاصة بها تستجيب لمتطلباتها المحلية والنوازل المستجدة في هذه المرحلة، على أساس تعقيد الحلف القبلي¹. وهكذا، فإلى جانب تيعقيدين أيت عطا التي ضمت مبادئ إزرغف وأعرافه وقوانينه المنظمة لإغرم أمزدار مركز هذا الحلف، برزت تعقيدين أيت إعزى وتعقيدين ايت خباش إلى غير ذلك من تعقيدين القبائل المكونة لهذا الحلف والتي اشتقت من الأصل الأول، وأضيفت إليها قوانين وأعراف تستجيب للبيئة المحلية لكل قبيلة، بل وبرزت تعقيدين القصور والتي اهتمت بتنظيم الأمور الحياتية لسكان القرية الواحدة².

إن إزرغف أيت عطا هو القانون العرفي الذي نظم الحياة الاقتصادية،

¹ David Montgomery Hart, " A customary law document from the Ait 'Atta of the Jbil Saghru ", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°1, 1966, pp.91-112.

² Mezzine (L), Le Tafilalet, pp.28-32-35.

والسياسية، والاجتماعية، لمجموع القبائل المكونة لهذا الحلف القبلي، وهو في الأصل عبارة عن أعراف شفوية تناقلتها أجيال أيت عطا والتزمت بمقتضياتها. أما تعقيدين، فهي النسخة المكتوبة والمدونة لهذا العرف. إلا أن هذا لا يجب أن يحجب عنا حقيقة هامة مفادها أن إزراف يظل أكثر غنى وثراء من تعقيدين¹؛ فما اطلعنا عليه منها تبدو مهممة في أكثر بنودها بالجانب التنظيمي الجزائي أو العقابي، ولا تدخل كثيرا في تفاصيل الأعراف المنظمة للاتحادية، وكذا التي تهتم بتدبير الخلافات بين القبائل الجارة داخل الحلف، وبينها وبين القبائل المجاورة له.

2- إزراف وتدبير العنف بين القبائل

ونؤكد هنا أننا سنركز على الأعراف المنظمة للعلاقات بين القبائل المشكلة للاتحادية أيت عطا، أو بين أيت عطا وغيرها من القبائل، لا التي اهتمت بالتنظيم الداخلي للقبيلة الواحدة، وإن كنا سنشير إلى بعضها. إذ يبدو أن استشراف ظاهرة الصراعات بين هذه القبائل حتم عليها سن أعراف منظمة لها أو تتق من خلالها بعض ما يفضي إليها.

تكشف الكثير من الأعراف لدى قبائل أيت عطا حرصها الشديد على مواجهة الأسباب التي قد تفضي إلى تفككها أو الاصطدام بالقبائل المجاورة. ولما كانت الأرض والماء وما اتسما به من ضالة وندرة أبرز مجال لبروز الخلافات بينها، فقد تم تخصيص العدد الأكبر من بنود القوانين العرفية لتدبير النزاعات حولها، وتنظيم كيفية استغلالها²؛ فالعرف يمنع بيع الأراضي العطوية لغير العطاوي أو شرفاء مولاي عبد الله بن احساين،

¹ تمكننا بعد الزيارات المتكررة إلى مركز الأرشيف الديبلوماسي بنانت، من الحصول على بعض النماذج من نصوص تعقيدين قبائل أيت عطا مترجمة إلى اللغة الفرنسية، كانت إلى ماض قريب في حكم المفقودات.

² Mezzine L., Le Tafilalt, p.270. Mezzine L., " Taqqit de Ait Atman : le recueil des règles de coutume d'un groupe de qsar de la moyenne vallée de l'oued ziz ", Hesperis Tamuda, Vol. XIX, Rabat, 1980-81, fascicule unique, pp.89-122.

وذلك عبر وضع عقوبات زجرية شديدة وغرامات مشابهة لغرامات الحرب، تمس البائع والمشتري معا¹. وتلزم الطرفين بأداء مائة مثقال، أي ما يعادل دية فرد من أيت عطا، وتشمل العقوبة كذلك "شيخ البيوع" بدفع غرامة عشرين مثقالا، أي ما يعادل إصابة أحد العطاويين برصاصة طائشة وغير مقصودة². ولتفادي ما يمكن أن يعكر صفو العلاقات بين الأخماس العطاوية، شدد العرف على منع كل خمس من الأخماس من تفويت نصيبه لخمس آخر، دفعا لما قد ينجم عن ذلك من صراعات³.

واضطرت قبائل أيت عطا في اتجاه إلى التأقلم مع شح الماء وندرته، وذلك بتبهيء القضاء التشريعي للملائم، خصوصا أن قضية الماء قضية يومية تتصف بطابع الديمومة، ولهذا كانت الجزاءات صارمة والغرامات مرتفعة تصل أحيانا إلى عشر موزونات في حق كل من اخترق القوانين العرفية الخاصة بالسقي⁴.

ومن أبرز الشواهد على دور العرف في حل بعض ما قد يفضي إلى الحرب بين الفروع القبلية لأيت عطا، تلك الوثيقة المؤرخة بـ1355هـ⁵، وموضوعها صراع حول الأراضي بين أيت يعزى وأيت إيسفول، كاد أن يفجر الاتحادية مع مطلع القرن العشرين. ولرأب الصدع التأم جل أعيان القبائل وشيوخها، فاحتكموا إلى إزرغان الذي فرض على المتخاصمين أداء اليمين، وهو ما لم يتجرأ عليه أيت إيسفول خشية من عقاب الولي

¹ De Monts de Savasse (Capt.), Le régime foncier chez les Ait Atta du Sahara, C.H.E.A.M, 1951, p.37.

² عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي، 66.

³ De Monts de Savasse (Capt.), Le régime foncier, p.14.

⁴ Nehlil M., Azerf du Ksar de Taouz dans les Archives berbères, Diffusion Al kalam, Rabat, 1987, p.187.

⁵ عثر عليها الباحث عبد الله استيتو عند أسرة الطالب لحسن بن أحمد العزاوي بالنيف. التاريخ الاجتماعي والسياسي، 193.

مولاي عبد الله بن احساين¹. ولعلها واقعة تترجم مدى هيبة إزراف ومدى احتوائه للقضايا الطارئة على الواقع العطاوي.

ومما يعضد حرص القبائل العطاوية على مواجهة ما يمكن أن يثير الخصومات بينها، إقدام بعضها على وضع تعديلات وإضافات في النصوص العرفية لأكثر من مرة بما ينسجم مع ما أملتته التحولات والمستجدات، يمكن رصد أربع مراحل زمنية في هذا الصدد تمت عبرها كتابة عرف أفانور (يقع في 31 صفحة) على سبيل المثال، تبدأ سنة 1883م وتنتهي سنة 1918م. ينطبق الأمر نفسه على عرف أورتوروك، و عرف تيدريرن و عرف الكارة. وللتخفيف من حدة النزاعات بين العالية والسافلة، عملت بعض القبائل بواحة الرتب على إضافة ضوابط عرفية جديدة مازال جملها ساري المفعول إلى اليوم².

وعلاوة على حرص قبائل أيت عطا على توليد أعراف توثق أواصر الارتباط بينها وتمنع اندلاع الصراعات فيما بينها، تكشف أعراف تنظيمية أخرى عن أساليب تديرية تعترف بحضور الحرب وتحاول منعها أو تصديرها إلى أطراف أخرى على الأقل. وتبرز في هذا الاتجاه، الأعراف المنظمة للعلاقات بين القبائل القوية والضعيفة في هذه المجالات، والتي توظف أشكالاً من الحماية بمقابل، حيث تبدو قبائل أيت عطا في حالات كثيرة بمثابة حاميات عسكرية لغيرها من القبائل وفق أعراف وضوابط مشروعة. واعتبر العديد من الدارسين³ أن سطوة أيت عطا جعلت مجموعة من القبائل تلجأ إليها طلباً للحماية وتجنباً للصراع مع قسامتها. وجرى العرف أن يكون توفير الحماية بمقابل نقدي أو عيني. فالأراضي

¹ عن الحلف واليمين في العرف القبلي عند أيت عطا، يراجع : Duclos Louis-Jean, « Note sur l'organisation judiciaire des Ait 'Atta dans la vallée de l'oued Dra' ». In: Revue de l'Occidentmusulman et de la Méditerranée, n°4, 1967. pp.23-30.

² محمد احدي، دراسة سوسيواقتصادية لأعراف الجنوب، 93.

³ عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي، 170.

الجماعية المعروفة بـ"أكتنا"، حصل عليها أيت عطا مقابل الحماية التي كانوا يوفرونها للعناصر الحمرطانية، أما النوع المسمى "الريعة"، فحصلوا عليها مقابل حراسة محاصيلهم¹.

واستشرت هذه الظاهرة أكثر خلال القرن التاسع عشر، ومن النماذج الدالة على ذلك، أن زعيم إرجدالن من أيت خباش حظي بعدة اتفاقيات من هذا النوع مع أولاد سيدي الحاج المكي القائمين على زاوية توات منذ العام 1834م². كما أن أيت خليفة أحد فروع أيت عطا، انتقلوا واستقروا بإكلي بعدما استنجد بهم "إكرامن" المرابطين³.

وأرغم جنوح الكثير من القبائل العطوية نحو السيطرة على المجالات المجاورة، بعض القبائل خارج الاتحادية على البحث عن أساليب تمنع تعرضها للهجوم، وفي مقدمتها إعلان الولاء للاتحادية وفق أعراف منظمة تحدد شروط الاندماج وطقوسه، كما هو حال قبائل ذوي منيع وبني محمد اللتين اندمجتا تحت حماية أيت خباش⁴.

وما دامت مجالات القبائل الواحية المستقرة أكثر المجالات عرضة للحرب، فغالبا ما لجأت هذه القبائل إلى اعتماد أعراف الحماية مع بعض القبائل الغالبة؛ وهكذا فإن شرفاء المولى أحمد بن رشيد طلبوا من الشيخ موحى وسعيد بن بوحايك شيخ أيت خباش أن يتعهد في وفق وقعه معهم عام 1842م، بأن يحميهم ويدافع عنهم من الاعتداءات مقابل 5475 مثقالا. وهو ما ينطبق على مجالات درعة؛ إذ تفتن سيللمان إلى أن صياغة الأوفاق والأعراف المنظمة للقبائل داخل الاتحادية العطوية، كانت تؤطرها المصلحة

¹ Niclause Capt, Les Ait Atta du Sahara, C.H.E.A.M, 1956, p.9.

² عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي، 58.

³ Fiches de tribus : Ait Atta, Centre d'Archives Diplomatique Nantes, carton cote : 14MA/900/91.

⁴ Lefébure Claude, "Ayt Khebbach, impasse sud-est. L'involution d'une tribu marocaine exclue du Sahara", In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°41-42, 1986, pp.140-141.

المشتركة، وتحركها احتمالات الصراع المتوقعة، مما خلف نوعا من التوازن حال دون غلبة القبائل القوية. في هذا المنحى، يندرج تحالف أيت واحليم، وأيت أونزار، وأيت غنيمية من أيت علوان، إلى جانب أولاد يحيى، وأيت زولي من قبائل أيت سدرات¹.

ومن الأوفاق المنظمة بأعراف دقيقة والتي استهدفت تنظيم العلاقات بين القبائل في الجنوب الشرقي، ما يعرف بـ"الطاطا" و"تافركانت". وإذا كان من الصعب التمييز الدقيق بين المفهومين، فالأكيد أنهما كانا من الوسائل ذات الفعالية الكبيرة التي قننت العلاقات بين بعض القبائل ومنعت اندلاع الحرب بينها. وعلى العموم فـ"تاضا" و"تافركانت" من العقود المتسمة بأعرافها بالقداسة، التي عادة ما تقضي بالتعاقد والأخوة المتبادلة، وتمر عبر مجموعة من الطقوس وبمحضر الجماعة الممثلة لكل قبيلة، ترسي علاقة قرابة وهمية تحاكي علاقات القرابة الطبيعية أو تزيد؛ فبمقتضاها يمنع التقاتل بين الطرفين، وفي المقابل تجبر شروطها الأفراد المنتمين للقبائل المنضوية تحتها، على المؤازرة في أوقات الحرب والدفاع المشترك².

ومن الطقوس ذات المعنى والدلالة على قوة هذا النوع من الأوفاق ما ارتبط بطقوس عقدها، حيث جرى العرف أن يتم بحضور عدد من النساء المرضعات (مائة امرأة عادة) من كل جانب، وعندما يتقابلن يتبادلن الأطفال لترضع كل واحدة رضيع المرأة الأخرى، لتعقد الرابطة دموية حتى بالنسبة لذريتهم اللاحقة³. وارتأى أيت عطا أن يضيفوا إلى تافركانت طقوسا أخرى تزيد من قوة الرابطة؛ فعندما عقد التحالف بين أيت خباش وبني محمد جمع حليب مائتي امرأة من نساء الفريقين في إناء كبير شرب منه

¹ عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي، 172.

² محمد احدى، دراسة سوسيواقتصادية لأعراف الجنوب، 13.

³ جورج سيلمان، أيت عطا الصحراء و"تهدة" درة العليا، 71.

أعيان القبيلتين ودفن الإناء في حفرة كبيرة في المكان نفسه الذي تم فيه الميثاق¹، دلالة على دفن الأحقاد وإلغاء للحرب والدخول في صفحة جديدة تجاوزت التآخي والتلاحم لتشمل مؤسسة الزواج؛ إذ أصبح الزواج بين القبيلتين محرماً باعتبار أخوتهم من الرضاعة. ومن نماذج القبائل التي جمعها تافركانت، ارتباط بني محمد مع أيت خباش إلى حد أصبح معه هؤلاء العرب منضوين في خمس أيت أونبكي العطاوي، ليحتلوا المكانة نفسها التي لأيت تغلا وأيت بورك².

هناك فترات وصل فيها التوتر بين قبائل هذه المجالات إلى مراحل لم تستطع فيها الأوفاق المشار إليها وأعرافها المنظمة منع اندلاع المواجهات بينها؛ ففي مجالات التماس بين أيت عطا وأيت يافلما، و رغم ما تم عقده من أوفاق بين القبائل المتجاورة، فإن ذلك لم يكن كافياً لتحقيق التبادل بين الاتحاديتين ومنع اندلاع الحروب بينها. وفي هذا الاتجاه، برزت أشكال تنظيمية أخرى غايتها التخفيف من الأسباب المفضية إلى الصراع بين القبائل أو وضع حواجز أمامها. من قبيل ما يعرف بـ"تامازارت" أو الدروع البشرية وتمثل في عوازل إثنية تجنب الاحتكاك المباشر بين الأطراف المحتمل اصطدامها، وضمان السلم والاستقرار بينها. ففي هوامش مجال كونفدرالية أيت يافلما نطقات عازلة وحسبنا أنه في منطقة مدغرة أقاليم عرقية فاصلة هي بمثابة عوازل تفصل بين نطاق أيت يزدك وأيت عطا، وعوازل أخرى تفصل بين أيت مرغاد غريس وأيت عطا أمغي قبل استرجاع إكلمين في معركة تيلوين سنة 1883. وتتكون هذه الدروع البشرية من أقاليم عرقية، أمازيغية (إملوان) مثلاً، أو العنصر الإفريقي، أو من إكرام (إمراطن)³.

¹ جورج سبيلمان، 71.

² محمد بوكوط، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار، 38.

³ باسو أوجبور، لحسن أيت الفقيه، إميلشيل الذاكرة الجماعية، منشورات جمعية أحيام في إطار برنامج جبر الضرر الجماعي، 41-42.

خاتمة

تكشف الأعراف المنظمة للعلاقات داخل قبائل أيت عطا وبينها والقبائل المجاورة عن ضعف وقصور خلاصات الأنثروبولوجيا الكلاسيكية و"إثنولوجيا الوصف" التي رسمت صوراً غير صحيحة، أو غير دقيقة على الأقل، عن هذه القبائل وغيرها، وجعلتها في مرحلة "طفولية" مقارنة بالمجتمعات الأوروبية. تبدو القبائل في الجنوب الشرقي، وضمنها قبائل أيت عطا، منظمة وفق أعراف وقواعد مضبوطة تحقق الأمن والتبادل بين أفرادها وقسماتها، وتحضر هذه الأعراف بقوة في تدبير العلاقات بين هذه القبائل وبين القبائل المجاورة، وأسهمت في كثير من الأحيان في منع اندلاع الحرب والقتال فيما بينها. واعتباراً لتفشي ظاهرة العنف والصراع القبلي في هذه المجالات لأسباب سوسيو اقتصادية ارتبط جلها بإكراهات المجال الجغرافي الذي استوطنته هذه القبائل، فقد ولدت هذه القبائل أعرافاً أخرى وأوفقاً تستوعب الحضور الدائم لهذه الظاهرة وتعمل على تنظيمها وتديورها، ليصبح العنف بين القبائل ظاهرة مأسسة وفق قواعد وأعراف مشروعة.

المصادر والمراجع

- إبراهيم بن عبد الرحمان الكلالي، المسألة الشهية الإمليسية على عوائد البلاد الغربية، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، رقم 2577 د، (ضمن مجموع).
- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1993م.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، طبعة 1431هـ/2000م.
- أحمد أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين (524-786هـ/1130-1472م)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، توزيع المكتبة الثقافية، وجدة، الطبعة الأولى، 1982.
- أحمد إد الفقيه، "القانون المغربي بين ثلوث العرف والشرع والتشريع"، مجلة المرافعة، العدد 1، 1992.
- أحمد أرحموش، "العرف والقانون من روافد الثقافة الأمازيغية (نموذج ألواح جزولة)"، ضمن أعمال ندوة الثقافة الأمازيغية بين التقليد والحداثة، جمعية الجامعة الصيفية، أكادير، 1996.
- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، المجلد الثالث، اعتنى به محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2007.
- محمد احدي، أعراف الجنوب المغربي نموذج عرف أيت عطا الرتب بوادي زيز، منشورات مختبر الأبحاث في المجتمعات الصحراوية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، أكادير، الطبعة الثانية، 2012.

- محمد احدى، دراسات في تاريخ المغرب العميق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، الطبعة الأولى، 2012.
- باسو أوجبور، لحسن أيت الفقيه، إميلشيل الذاكرة الجماعية، منشورات جمعية أخيام في إطار برنامج جبر الضرر الجماعي.
- بيار كلاستر، "أثریات العنف أو الحرب في المجتمعات البدائية"، ترجمة علي حرب، مجلة الفكر العربي، العدد 33-34، السنة الخامسة، 1983م.
- جورج شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة المختار بلعربي، إشراف الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1999م.
- جيرار لكرك، الأنثروبولوجيا والاستعمار، ترجمة، جورج كتورة، معهد الإنماء العربي، كتاب الفكر العربي، بيروت، 1982م.
- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
- حليلة بنكرعي، "تحديد بعض المفاهيم المتصلة بالعرف"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية. مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، 2004.
- حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني، نشر مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، سلسلة أبحاث1، ديسمبر 2009م.
- حميد تيتاو، محمد لطيف، ملامح من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

- رجال بوبريك، زمن القبيلة، السلطة وتديير العنف في المجتمع الصحراوي، دار أبي رقرق للطباعة النشر، الرباط، ط1، 2012.
- رسائل ابي علي الحسن بن مسعود اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة، فاطمة خليل القبلي، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1981.
- شفيق أرفاك، قيادة تمنارت بين التزام المحيط القبلي والسلطة المخزنية 1110-1352م/1706-1934م، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، 2007.
- صدقي أزيكو، "فتاوي بعض علماء الجنوب بخصوص نظام إنفلاس بالأطلس الكبير الغربي في أوائل القرن 17"، ضمن كتاب "التاريخ وأدب النوازل"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة فضالة، المحمدية، 1995.
- عبد الخالق احمدون، "القوانين العرفية بالمغرب (قانون ماسة إداوط نموذجاً)"، مجلة كلية الآداب، تطوان، العدد 8، 1997.
- عبد الرحمن بلوش، "قراءة في إزرف الأمازيغي"، ضمن الدورة الرابعة للجامعة الصيفية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.
- عبد الفتاح الزين، "السوسيولوجيا في المغرب، من إعلان الحماية الفرنسية إلى المرحلة الراهنة"، مجلة المستقبل العربي، السنة 13، العدد 146، أبريل 1991م.
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق، المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2013.
- عبد الله استيتو، التاريخ الاجتماعي والسياسي لقبائل آيت عطا الصحراء إلى نهاية القرن التاسع عشر، منشورات المعهد الملكي لثقافة الأمازيغية، الرباط، الطبعة الأولى.

- عمر بن عبد الكريم الجيدي، العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب، مطبعة فضالة، 1984.
- فاطمة مسدالي، "الثابت والمتغير في أعراف الأسرة البدوية"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، 2004.
- فضة مصطفى، "حول مفهوم القبيلة في علم الاجتماع الاستعماري"، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 29، 1983م.
- محمد بن أحمد الإگوراري، روضة الأفنان في وفيات الأعيان، تحقيق، حمدي أنوش، مراجعة، محمد الحاتمي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، الطبعة الأولى، 1998.
- محمد المختار السوسي، المعسول، 270/16 طبع بمطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1380هـ/1961م.
- محمد بوكوط، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880-1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نون، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، 2005.
- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1976.
- محمد حنداين، "العرف والمجتمع السوسي"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية المغربية-
- محمد ياسر الهلالي، "لمحة عن العقوبات العرفية للصوصية في المجال القروي المغربي خلال العصر الوسيط وبداية العصر الحديث"، ضمن أعمال ندوة الأعراف بالبادية

- المغربية، مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات، 2004،
- المهدي الناصري، الرحلة الزاهرة في أخبار درعة العامرة، دراسة وتحقيق، أحمد البوزيدي، منشورات أمل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1999.
- الناصري محمد بن المهدي بن العباس، نعت الغطريس، الفسيس، هيان بن بيان، المنتهي إلى سوس، تحقيق خالد ناصر الدين، منشورات دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 2016.

الهوامش باللغات الأجنبية

- Ahmed Skounti, Le sang et le sol : nomadisme et sédentarisation au Maroc : les Ayt Merghad du Haut-Atlas oriental, Rabat, IRCAM.
- David M. Hart, Les institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou, traduit de l'anglais par C. G. Dimechkie, Recherches récentes sur le Maroc moderne actes tenu du 13 au 15 juillet 1977 à Durham. Casablanca: Publications du Bulletin économique et social du Maroc, 1978.-
- De Lachapelle C.F., Notes sur la confederation des Ait Atta : les Ait Ounir, Annexes, 1928.
- De Monts de Sauvasse (Capt.), Le régime foncier chez les Ait Atta du Sahara, C.H.E.A.M, 1951.
- Fiches de tribus : Ait Atta, Centre archives diplomatique Nantes, carton cote : 14MA/900/91.
- Georges Surdon, Esquisses de droit coutumier berbère marocain, Editeur Félix Moncho, 1928, pp.41-42 Ait 'Atta of the Jbil Saghru, Revue de

- l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°1, 1966.
- Justinard Lt. colonel, Notes sur l'histoire du Sahara au XVI^{ème} siècle, Archives Marocaines, vol. XXIX, Paris, 1933.
 - Lefébure Claude, "Ayt Khebbach, impasse sud-est. Involution d'une tribu Marcaïne exclue du Sahara", In: Revue de occident musulman et de la Mediterranean, n°41-42, 1986.
 - Marquis De Segonzac, Au cœur de l'Atlas mission au Maroc 1904- 1905, Paris, Emile Larose, Librairie éditeur, 1910.
 - Mezzine L, Le Tafilalte.
 - Nehlil M, Azerf du Ksar de Taouz dans les Archives berbères, Diffusion Al kalam, Rabat, 19 Duclos Louis-Jean, "Note sur l'organisation judiciaire des Ait 'Atta dans la vallée de l'oued Dra'". In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°4, 1967.
 - Pacification et penetration : Sagho, Oussikiss, M'semrir Ktaoua et M'hammid (Draa) Todgha : Opération Zagora et Anti-Atlas
 - Rapports de tournées, Etude du pays de transhumance. Centre d'archives diplomatique Nantes, Carton cote : 13MA/900/957.
 - Pierre Clastres, "Malheur du Guerrier sauvage", In Revue Libre, n°2, Paris, 1977. Mezzine Larbi, Le Tafilalte contribution à l'Histoire du Maroc aux XVII^e et XVIII^e siècles, Publications de la Faculté des lettres et des sciences humaines de Rabat, Série Thèses 13, Université Mohammed V, Rabat, 1987.
 - Recueil des règles de coutume d'un groupe de qsar de la moyenne vallée de l'oued ziz, Hesperis Tamuda, Vol. XIX, Rabat, 1980-81, fascicule unique.